

بل الرفيق الأعلى

* «ألا وإن أحبكم إلى من أخذ مني حقاً إن كان له أو حَلَّنِي فلقيت ربي وأنا طيب النفس».

محمد

* «دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، إلى جنة المأوى، وسدرة المنتهى.. إلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى»

محمد

* «إن للموت لسكرات. اللهم أعنى على سكرات الموت. اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى».

محمد

* «بل الرفيق الأعلى. فى الرفيق الأعلى. فى الرفيق الأعلى».

محمد

* ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.
[سورة آل عمران: آية ١٤٤].

* «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

أبو بكر الصديق

* * *

«المدينة، بعد حجة الوداع حافلة بالتباريك والمسرات والرحمات.. المسجد النبوى يشهد قدوم مائة رجل قدموا وافدين من «صُداء».. حى من أحياء العرب باليمن.. كان زياد بن الحارث الصُدائى قد لحق بالرسول عليه الصلاة والسلام بالجعرانة فى العام الثامن للهجرة، فأسلم ونفر من قومه، بلغوا خمسة عشر رجلاً.. عادوا إلى قومهم فبثوا إليهم الإسلام، واهتدت إليه قلوبهم.. وجاءوا اليوم مجبورى خاطر فى مائة رجل يعلنون إسلامهم بالمسجد النبوى، ويبايعون الرحمة المهداة. النبى عليه السلام يستقبلهم بأشأ قريير العين، يشهدون بين يديه بالشهادة ويبايعون على الإسلام، بينما تشيع الغبطة والمسرة ويتجاوب المسجد النبوى بتكبيرات المسلمين..».

* * *

«مضارب بنى حنيفة، فى أواخر العام العاشر للهجرة، وقد ارتد مسيلمة بن حبيب الكذاب، وطفق يتنبا، ويدعى النبوة، ويقول للناس قاصداً النبى عليه السلام: «لقد أشركت فى الأمر معه. ألم يقل حينما ذكرتمونى له: «أما أنه ليس بشركم مكاناً» وما ذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه.. ثم جعل يسجع السجعان، فيقول

لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن: «لقد أنعم الله على الحيلى، أخرج منه نَسْمَةً تسعى، من بين صَفَافٍ وَحَشًا». واستمر الكذاب ما يفتريه، فوضع عن الناس الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنى، بينما يبدي للناس حتى لا يعترضوه أو يشكوا بأمره، أنه يشهد لرسول الله أنه نبي، ولكنه قد أشرك معه فى الأمر.. وزاد اجترأً فكتب كتابًا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد وصل كتاب من مسيلمة بن حبيب.. الكذاب.. النبى عليه السلام يأمر بفضه وتلاوته..».

أحد الأنصار : (مترددًا) كتاب الكذاب يقول.. من مسيلمة رسول الله (تتساعد استنكارات المسلمين) إلى محمد رسول الله: أما بعد، فإنى قد أشركت فى الأمر معك (يتململ المسلمون ويعلمون استنكارهم) وإن لنا نصف الأمر، وليس قريش قومًا يعدلون..

«المسجد النبوى يموج باستنكار الصحابة وعامة المسلمين، والنبى عليه السلام يهدئ خواطرهم ويدعوهم إلى الصبر والسكينة.. ويملى للتو خطابًا إلى هذا الكذاب..».

النبى : (يملى على أحد شبان المسلمين) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: سلام على من

اتَّبِع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

«النبى عليه السلام يلتفت إلى المبعوثين للذين

حملا كتاب مسيلمة الكذاب، فيسألهم...».

: (لمبعوثى مسيلمة الكذاب) وأنتما. هل تقولان بمثل ما يقول؟! :

النبى

: (فى جراءة واقتضاب) نعم!

المبعوثان

«يتصايح المسلمون استنكاراً.. فيشير إليهم

النبى عليه السلام بالتزام الهدوء...».

: (فى صبر وحلم) أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت

النبى

أعناقكما!

«المبعوثان يتسلمان كتاب النبى عليه الصلاة

والسلام، وينصرفان للحاق بصاحبهما ، دون أن

يعرض لهما أحد من المسلمين بسوء...».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، بالمحرم السنة

الحادية عشرة للهجرة، ولا تزال الأفراح تملأ

أرجاء المدينة بالعودة إلى الحج إلى بيت الله

المحرم.. يدخل إلى المسجد وفد النخع فى نحو

مائتى رجل قادمين من اليمن لإشهار إسلامهم

ومبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام.. كانوا قد

باتوا ليلتهم بدار الأضياف بالمدينة، فلما غدا

الصباح أتوا مشوقين إلى لقاء الرحمة المهداة،
والإسلام والمبايعة بين يديه..».

«فى الوفد زرارة بن عمرو، وفيه من كانوا قد
بايعوا معاذ بن جبل على الإسلام إبان إيفاده
إليهم.. وكان بعضهم قد سبق وأسلم يوم الفتح
وشارك فى فتح مكة. يدخل الوفد فيتجه مباشرة
إلى الرحمة المهداة، يحيونه بتحية الإسلام،
ويشهدون بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله.. ويبايعون على الإسلام.. فتنصاعد تكبيرات
المسلمين، ويموج المسجد النبوى بالرحمات
والمسرة وتلاقى الاحتفالات ودخول الناس فى
دين الله أفواجا..».

«بالمسجد بأحد الصفوف: الصحابى عبد الله

ابن مسعود يهمس إلى جاره..».

عبد الله بن مسعود : (هامساً لجاره) تمنيت أن أكون رجلاً منهم.. فقد سمعت
رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحى من النخع.. ويثنى عليهم..
الجار : صدقوا ما عاهدوا الله عليه..
عبد الله بن مسعود : صدقت.

* * *

«المدينة، بأواخر صفر للسنة الحادية عشرة
للهجرة، والنبي عليه الصلاة والسلام قرير العين
راضى النفس بعد أن آب مجبوراً من حجه

بالمسلمين إلى بيت الله الحرام.. لقد نهض للحج والوفود تتقاطر على المدينة طوال العام العاشر للهجرة، ومن قبله العام التاسع، لتدخل في دين الله أفواجًا، ولتبايع في المنشط والمكره.. ولم ينقطع مجيء الوفود بعد الإياب من الحج المبارك.. وبدا له عليه السلام وهو يستعرض صفحات الجهاد والدعوة، أن الإسلام بات يأمن مطمئنًا في قلب الجزيرة العربية، ولا شيء يتهده من جنوبها.. ولكن الشمال لا تزال تأتي منه رياح مقلقة.. تأتي من وقت لآخر أخبار عن نوايا أو حشود الروم.. إنه عليه السلام لا يزال يذكر خروجه إلى «تبوك» وإن كان المحتشدون من الروم قد آثروا السلامة حين رأوا طلائع المسلمين.. وإنه عليه السلام لا يزال يذكر «مؤتة» وما جرى فيها.. قد خرجت السرية يومها في جمادى الآخرة للعام الثامن للهجرة، والجو ملبد آنذاك بغيوم تجبر الروم ومن والاهم وعيئهم في الشام فسادًا، وقتلهم صبرًا رسول الله إلى حاكم بصرى من قبل هرقل.. في موضع قتله في «مؤتة» بأدنى «البلقاء»، دارت معركة قتل فيها أمراء السرية على التوالي: زيد بن حارثة، ثم ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله ابن رواحة، ولم ينقذ المسلمين يومها من الكربة الشديدة عليهم من الروم - سوى حسن فطنة

وقيادة خالد بن الوليد، فأطلق عليه الرسول من يومها: سيف الله المسلول..».

«إن رياح الأخطار لا تزال تأتي من الروم بالشمال.. النبي عليه الصلاة والسلام يقر عزمه على إنفاذ جيش لقتال الروم، فيأمر بالمنادين لينادوا بالمدينة بعزمه ﷺ على تجهيز جيش للخروج إلى الروم.. يجتمع إليه المسلمون في زمن وجيز، ويجتمع فيمن اجتمعوا إليه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار.. فينضم فيمن تسابقوا للانضمام: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن نفيل، وقاتدة ابن النعمان، ومسلم بن أسلم بن قريش.. وغيرهم من الأنصار وكبار الصحابة.. النبي عليه الصلاة والسلام ينبئهم بالتهيؤ للإسراع بالخروج إلى أبنى، بين عسقلان والرملة، بقرب مؤتة بالبلقاء.. بين الشام ووادي القرى لغزو الروم.. المسلمون لا يزالون يذكرون استشهاد زيد ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وشهداء وخسائر المسلمين في مؤتة..».

«المدينة، أمام مسجد وبيت النبوة، يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر، يخرج النبي عليه السلام فيلقى الحشود التي تجمعت للخروج،

فيفتش بين الحاضرين ، ثم يأمر بمن ينادى على
أسامة بن زيد بن حارثة...».

«أسامة بن زيد بن حارثة، يخرج من بين
الصفوف.. شاب فى نحو العشرين من عمره،
بينما لا يعرف كبار الصحابة من المهاجرين
والأنصار لماذا دعاه، فيتجه إلى رسول الله ﷺ...».

أسامة بن زيد بن حارثة : لبيك يا رسول الله.

النبى : (وقد وضع يده على رأسه) يا أسامة، سر على اسم الله
وبركته حتى تنتهى إلى موضع مقتل أبيك (فى مؤتة) فأوطئهم
الإخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحًا على أهل
أبني، وأسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله فأقلل
اللَّبث فيهم، وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك.

«على وجوه بعض كبار الصحابة دهشة،
ولكنهم لا يفصحون بشيء...».

* * *

«بعد يومين، أمام مسجد ودار النبوة، يخرج
النبى عليه السلام، وطلائع الجيش مجتمعة،
فيعقد النبى اللواء لأسامة بيده، ثم يوصيه...».

النبى : (لأسامة) اغزُ باسم الله، وفى سبيل الله.. (لجميع
الحاضرين) اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدًا أو امرأة، ولا
تمنوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون لعلكم تُبتلون بهم، ولكن
قولوا اللهم اكفناهم واكفف بأسهم عَنَّا! فإن لقوكم وقد

جلبوا وصخبوا فعليكم بالسكينة والصمت. ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ربحكم. وقولوا اللهم نحن عبيدك وهم
عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت!
واعلموا أن الجنة تحت البارقة.

* * *

«بعد بعض يوم، رهط من كبار المهاجرين
والأنصار قد اجتمعوا بناحية من المسجد، يتحدثون
بتعجب وضيق من تولية أسامة بن زيد بن حارثة،
شاب في العشرين. يبدي معظم الحاضرين
اعتراضهم على هذا الاختيار، ويشدد عباس بن
أبي ربيعة في الاعتراض على إمارة شاب على جلة
المهاجرين الأولين والأنصار.. عمر بن الخطاب
يحاول تهدئتهم والرد عليهم، ولكنه يلبي طلبهم
أن ينقل إلى رسول الله ﷺ، ما يضيقون به..».

* * *

«المسجد النبوي، يخرج رسول الله عليه
الصلاة والسلام مريضاً عاصباً رأسه بعصاة،
فيرتقى المنبر وعلى محياه غضب شديد، فيحمد
الله، ويثني عليه، ويخطب في الحاضرين..».

: أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم في
تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة فقد طعنتم

النبى

فى إمارتى أباه من قبله . وأيم الله إن كان زىد لخليقاً
 بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة وإن
 كان لمن أحب الناس إلى، وإنهما لمخيلان لكل
 خير، فاستوصوا بأسامة خيراً فإنه من خياركم.
 «ينصرف النبى عليه السلام من المسجد إلى
 داره مباشرة، دون أن يحدث أحداً، والناس فى
 وجوم وكأن على رؤوسهم الطير.. قد انعقدت
 ألسنتهم، لا يحسنون بعد ما سمعوا حديثاً».
 «المسلمون يبادرون إلى الجُرف بمقربة
 من المدينة للتجهز للخروج لقتال الروم..
 النبى عليه السلام رغم بدء دخول المرض
 عليه، لا يفتأ يوصى كل من يدخل من كبار
 الصحابة عليه: «أنفذوا بعث أسامة»!
 «المسلمون يتجمعون ويتهيأون، لا ينتظرون إلاَّ
 الإذن بالتحرك إلى حيث أمر رسول الله عليه
 الصلاة والسلام...».

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت عائشة،
 يعانى من صداع شديد فى رأسه، ومن حرارة
 وآلام شديدة تلم به على نوبات، داهمه المرض
 وهو فى بيت زوجته ميمونة بنت الحارث،
 فاستأذنها واستأذن نساءه فى أن يُمرض فى

بيت عائشة، يعالج حرارة الحمى بصب الماء
على رأسه..

«النبى عليه السلام ينهض من فراشه فى
جوف الليل، فينادى على مولاه أبى مؤيَّبه..
تتساءل عائشة..

: (فزعاً للنبى) إلى أين يا رسول الله؟

: أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ..

عائشة
النبى

«النبى عليه السلام لا تستوقفه اعتراضات
عائشة، يخرج وفى معيته مولاه أبو مؤيَّبه..
ييمم شطر البقيع، فلما يلمح عليه السلام التساؤل
فى عينى مولاه، يفصح له عن أنه قد أمر بأن
يستغفر لأهل البقيع..

«بأرض البقيع.. النبى عليه السلام يقف
ويتلفت حوله فى سكون، فيبتعد مولاه قليلاً
احتراماً لجلال الموقف..

: (وهو يتجول بنظره فى مقابر البقيع) السلام عليكم يا أهل
المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه.
أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها،
الآخرة شر من الأولى..

النبى

«النبى عليه الصلاة والسلام يمضى فى دعاء
طويل واستغفار لموتى المسلمين المدفونين تحت
الثرى فى أرض البقيع.. ثم يتهياً للانصراف.

يقترّب منه مولاه أبو مؤيّهبة ، فيسير إلى جواره
عائدين إلى بيت عائشة ..

النبي : يا أبا مؤيّهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود
فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ..
أبو مؤيّهبة : (وجلاً) بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! فخذ
مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ..
النبي : لا والله يا أبا مؤيّهبة ! فقد اخترت لقاء ربي والجنة ..
«يمضيان فى صمت حتى يبلغا بيت عائشة ،
فيستأذن النبي مولاه ، ويدخل إلى بيته ليعود إلى
فراشه .. تنظر إليه عائشة بإشفاق ، ولكنها لا
تعقب ..

* * *

«فى الغداة ، بعد ليل مسهد وآلام تروح
وتجىء .. يغالب النبي مرضه وأوجاعه ، يخرج
إلى المسجد ليصلى بالمسلمين ، معصوب الرأس ،
يدارى عنهم آلامه .. ولكن القلق عليه ممسك بهم
يأخذهم فى كل اتجاه إشفاقاً على رسول الله مما
أحسوا أنه يعانيه ..

«المسجد النبوى بميقات الظهيرة .. النبي عليه
الصلاة والسلام يغالب مرضه فيعاود الخروج إلى
المسلمين .. يجلس على المنبر ، فيحمد الله ،
ويصلى على أصحاب أحد فيكثر ويستغفر لهم ..

ثم يأمر الفضل بن العباس بالمناداة للصلاة،

ويخطب عليه السلام فى المسلمين..

النبى : أما بعد أيها الناس. إنه قد دنى منى حقوق من بين
أظهركم، ولعلكم لن ترونى فى هذا المقام فيكم، وقد كنت
أرى أن غيره غير مغن عنى حتى أقومه فيكم.. ألا فمن
كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت
أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه، ولا يقولن قائل
أخشى الشحناء من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست
من شأنى ولا من خلقى.. ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى
حقاً إن كان له أو حَلَنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس..
«ينهض من بين المسلمين رجل فيتجه إلى

الرسول..

الرجل : يا رسول الله لى عندك ثلاثة دراهم.

النبى : (سَمِحًا) أما أنا فلا أكذبك ولا مستحلفك على يمين..

(سائلاً) فيم كانت لك عندى؟

الرجل : أما تذكر يا رسول الله أنه قد مرَّ بك سائل فأمرتنى فأعطيته
ثلاثة دراهم؟

النبى : (للفضل بن العباس) أعطه يا فضل..

«الفضل يناول الرجل ثلاثة دراهم..

النبى : (متابعًا إلى الناس) من كان عنده شىء فليؤده ولا يقل

فضوح الدنيا أهون من فزوح الآخرة..

«النبى عليه الصلاة والسلام يعود فيصلى على

أصحاب أحد ويستغفر لهم.. ويصلى بالناس

الصلاة الجامعة، حتى إذا فرغ من أدائها عاد ليتحدث إلى الناس..

النبي : أيها الناس! إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده..

«الناس في وجوم وقد انحبست أنفاسهم وكأن على رؤوسهم الطير.. أبو بكر الصديق وقد فهم المغزى، يغالبه التأثر فيجهش بالبكاء..»

أبو بكر : فديناك بأنفسنا وآبائنا!

النبي : (لأبي بكر) يا أبا بكر لا تبك. (إلى الناس) إِنَّ أُمَّنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ.. وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا كَانَ أَبُو بَكْرٍ.. وَلَكِنْ أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمُودَتَهُ.. «النبي عليه السلام يلتفت إلى من حوله، فيأمرهم..»

النبي : سدوا عن المسجد كل خوخة غير خوخة أبي بكر - (يستأنف ناظراً إلى أبواب المسجد) إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ عَلَيَّ مَنَّا فِي صَحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَأَغْلَقُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّارِعَةَ كُلِّهَا فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ..

عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعني أفتح كوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة.

النبي : (معتذراً في رفق) لا يا عمر..

(يستأنف) يا معشر المهاجرين، إنكم أصبحتم تزيدون، والأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها.. هم عييتي (خاصتي وأهل سرى) التي أويت إليها، أكرموا كريمهم،

وتجاوزوا عن مسيئتهم.. احفظونى فيهم ، اقبلوا من محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئتهم..

«النبى عليه السلام يعود إلى بيته متكئاً
على على بن أبى طالب والفضل بن العباس ،
والمسلمون تسبقهم ضراعاتهم إلى الله عز وجل أن
يحفظ لهم نبيهم ويشفيه من المرض الذى ألم به..

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت عائشة
يعانى من أوجاع المرض ، ومن وطأة الحمى ،
يغالب مرضه ليخرج للصلاة بالناس.. يظل على
ذلك عدة أيام.. ولكن المرض يشتد عليه ، وتعلو
حرارة الحمى.. فينادى عليه السلام فيمن حوله.
: هريقوا علىّ (الماء) من سبع قرب من آبار شتى..

النبى

«عائشة ، وأهل بيته ، يسارعون إلى صبّ الماء
الذى كانوا قد جهزوه لتخفيف حرارة الحمى..
النبى عليه السلام تتغشاه إغماءة ، يفيق منها بعد
برهة فيحس آثار دواء فى فمه ، وبعض آثاره على
صدره.. يلتفت إلى من حوله غير راض..

: (معاتباً) من فعل هذا بى؟!!

النبى

«يرتج على أمهات المؤمنين عائشة ،
وأم سلمة ، وميمونة - ومعهن

أسماء بنت عميس، وعمه العباس واقف معقود
اللسان..

بعض أهل البيت : (متشجعين) عمك العباس يا رسول الله.
العباس : (وقد لمح التساؤل في عيني الرسول) هذا دواء أتى به نساء
جنن من الحبشة..)
النبي : ولم تعلم ذلك؟!
العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب.
النبي : إن هذا لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به.

«أهل البيت في أسف وحيرة، لا يعرفون
كيف يكفكون غضب رسول الله عليه السلام..

* * *

«النبي عليه الصلاة والسلام بفراشه في
بيت عائشة في ميقات صلاة العشاء - وقد
شعر ببعض التحسن، وأراد أن يخرج للصلاة
بالناس.. يحاول النهوض، ويأمر أهل البيت أن
يضعوا له الماء في المخضب (وعاء غسل الملابس)
ففعلوا.. النبي عليه السلام يغتسل ويتوضأ، ثم
يحاول النهوض مثقلاً بأوجاعه فيغشى عليه..
يفيق ثم يحاول عليه السلام القيام مرة أخرى،
ولكن المرض يغلبه.. والناس عكوف في المسجد
في انتظاره لإقامة الصلاة.. يسمع عليه الصلاة
والسلام بلالاً يؤذن بالصلاة..

النبي : (لمن حوله مغالبًا وهنه وآلامه) مروا أبا بكر يصلى
بالناس..

عائشة : (مراجعةً على استحياء) يا رسول الله، إن أبا بكر رجل
أسيف (رقيق الطبع خفيض الصوت)، كثير البكاء إذا
قرأ القرآن، ومتى قام مقامك لا يسمع الناس!
النبي : مروا أبا بكر يصلى بالناس..

«عائشة تكرر على رسول الله ما قالته،

وتضيف ومعها بعض أمهات المؤمنين»

عائشة وبعض أمهات المؤمنين : فلو أمرت عمر!

النبي : (معاتبًا في رفق ودعابة) إنكن صواحب يوسف.. (يستأنف
مصممًا) مروا أبا بكر يصلى بالناس..

«بعد برهة يتناهى من المسجد صوت عمر

ابن الخطاب يكبر للصلاة بصوته الجهير..

النبي : (غاضبًا) فأين أبو بكر؟

«أهل البيت معقودو اللسان لا يجدون ردًا..

النبي : (مستأنفًا لا يزييله غضبه) يا أبى الله ذلك والمسلمون.. يا أبى
الله ذلك والمسلمون..

«البعض يسارع للبحث عن أبى بكر ليقم

الصلاة.. لا يهدأ غضب النبي عليه السلام،

إلاّ وقد اطمأن إلى أن أبا بكر قد دُعِيَ وبدأ

الصلاة..

«بعد صلاة العشاء، على جانب في المسجد النبوى، عمر بن الخطاب منتح بعبد الله بن زمعة فى عتاب غاضب..»

عمر بن الخطاب : (معاتباً فى غضب) ويحك، ماذا صنعت بي يا ابن زمعة؟! والله ما ظننت حين أمرتنى بالصلاة إلا أن رسول الله أمرك بذلك، ولولا ذلك ما شرعت فى الصلاة بالناس.. عبد الله بن زمعة : (معتذراً) والله ما أمرنى رسول الله بذلك، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس.

* * *

«بعد يوم، والنبي عليه السلام قد وجد فى نفسه تحسناً، على صلاة الصبح.. يقوم إلى المسجد متسانداً بين على بن أبى طالب والفضل ابن العباس.. يدخل المسجد وأبو بكر قائم يصلى بالناس.. أبو بكر يلمح مقدم الرحمة المهداة عليه السلام فيتأخر ليفسح له لإمامة المصلين، ولكن رسول الله يومئى إليه أن يستمر، ويهمس لعلى والفضل أن يجلساه إلى جانب أبى بكر، ففعلاً.. أبو بكر يتابع قائماً الصلاة بالناس، والناس يصلون بصلاته، والنبي عليه السلام يصلى قاعداً.. يستكمل بعد تمام الصلاة ما فاته. ما إن يفرغ من صلاته وأدعيته، حتى يتهافت إليه المسلمون تملؤهم الأشواق للتملى بمحياه والاطمئنان عليه.

«النبي عليه السلام منصرف لبيته بعد الصلاة،

يقول لمن معه..

: (فى تسامح ورضاً) لم يُقبض نبي قط حتى يؤمه رجل من أمته.

النبي

* * *

«بدار عائشة، وقد ظن أهل البيت أن النبي

عليه السلام قد أبل من مرضه، إلا أن المرض

عاد ليدهامه، يستعين على وطأة الحمى بقدح

إلى جواره فيه ماء.. يمسح وجهه بالماء، ويدعو

ربه.. «اللهم أعنى على سكرات الموت».. تدخل

عليه ابنته فاطمة التى كان يحلو له أن يناديها

«أم أبيها».. تلاحظ بقلب الابنة ما على وجه

أبيها، فتقول: واكرباه.. يا كرى لكربك يا أبتاه!

: (لفاطمة) لا كرب على أبيك بعد اليوم.

النبي

«النبي عليه السلام يرى بقلب الأب الحنون،

شدة جزع ابنته، فيستدنيها.. ويسرّ إليها

بعبارات لا يسمعها سواها، ولكن المحيطين

يرون بكاءها ودموعها التى غالبتها فغلبتها. النبي

عليه السلام يعود فيسرّ إليها بعبارات أخرى،

لا يسمعها سواها، ولكن المحيطين يرونها تعدل

عن بكائها فتضحك.. لا يعلم المحيطون بهما

أنها بكت حين أخبرها عليه السلام أنه ميت،

وأنها ضحكت حينما أخبرها بأنها أول أهله
لحوقاً به!..».

* * *

«أسامة بن زيد بن حارثة، وقد بات مع جنده
ليلة الأحد الحادى عشر من ربيع الأول بالجرف
بأطراف المدينة، يأتى إلى دار عائشة ليطمئن
على رسول الله عليه الصلاة والسلام ويستأذنه
فى الخروج إلى الروم.. تملأه الغبطة حين يُقال
له إنه عليه السلام قد أفاق، فيستأذن عليه وعنده
العباس وأمّهات المؤمنين حوله.. أسامة ينحنى
ويقبل النبى والنبى عليه السلام لا يتكلم.. جعل
يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة كأنه
يدعو له..».

* * *

«يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول، وقد
أصبح الرسول عليه السلام مفيقاً، يعاوده أسامة
ابن زيد، فيبادره عليه السلام..».
النبى : (لأسامة بن زيد) اغدُ على بركة الله..
«يدخل أبو بكر مغتبطاً لإفاقة رسول الله،
فيقول..».
أبو بكر : يا رسول الله، قد أصبحت مفيقاً بحمد الله، واليوم يوم ابنة
خارجة فأذن لى.

«النبى يأذن له.. ينصرف أبو بكر إلى داره
بالسُنْحُ بأعلى المدينة، بينما ينطلق أسامة بن زيد
إلى عسكره ليأمر الناس بالرحيل إلى الروم...».

* * *

«النبى عليه السلام على خلاف كل المحيطين
به يدرك دنو أجله، يعرف أن لحظة فراق الدنيا
والهجرة إلى ربه قد حانت. يأذن عليه السلام لبعض
صحابته لعيادته، يحيطون به وفيهم صاحبه
الأثير الصادح بالقرآن: عبد الله بن مسعود».

: (لأصحابه) مرحباً بكم، حياكم الله بالسلام، آواكم الله،
حفظكم الله، رفعكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قواكم
وأعانكم الله، وقاكم الله.. أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله
بكم، وأستخلفه عليكم، وأؤديكم إليه.. إنى لكم نذير
وبشير ألا تعلقو على الله فى عباده وبلاده، فإنه قد قال لى
ولكم: ﴿يَتْلُو﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَجَعَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ [سورة القصص:
آية ٨٣].. (يضيف) وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٠]..

النبى

: (واجمين) بل أمدّ الله فى عمرك يا رسول الله.
: دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، إلى جنة المأوى، وسدرة
المنتهى.. إلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش
المهنى..

الصحابة

النبى

«تنساب دموع الرحمة المهداة عليه السلام،
وتنهمر دموع الصحابة.. ينصرفون وقد أضناهم
الإحساس بأن رسول الله عليه السلام يودعهم
الوداع الأخير!».»

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام فى فراشه، وقد اشتد
الضحى وحضر ملك الموت، يعرف عليه السلام دنو
الساعة، فيدعو ربه.. اللهم أعنى على سكرات الموت..
يغرغر بكلمات يكررها فى صدره ما يكاد يفيض بها
لسانه «الصلاة وما ملكت أيمانكم».. يقول لعلى بن أبى
طالب، وعلى يطمئننه أنه يسمع ويحفظ ويعى ما يقوله
عليه السلام له: «أوصى بالصلاة والزكاة وما ملكت
أيمانكم».. السيدة عائشة تسند رأس رسول الله، يدخل
أخوها عبد الرحمن بن أبى بكر يحمل فى يده سواكاً..
تلاحظ أن الرسول عليه السلام ينظر إليه، فسألته:
أخذه لك؟ فأشار عليه السلام برأسه أن نعم. عائشة
تعطيه له فيضعه فى فمه فتلاحظ أنه شديد عليه.
تسأله عائشة: ألينه لك؟ النبى يشير إليها أن نعم،
فتلينه بفمها وتناوله له.. النبى عليه السلام يضع يده
فى قدح الماء المجاور لفراشه، ويمسح بالماء وجهه..»
النبى : (وروحه تفيض إلى بارئها) لا إله إلا الله.. إن للموت
لسكرات.. اللهم أعنى على سكرات الموت.. اللهم اغفر لى

وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى.. (ينادى هامساً). ادن
منى يا جبريل.. ادن منى يا جبريل.

«النبى عليه السلام ينصب يده وإصبعه
ويقول..».

: بل الرفيق الأعلى. فى الرفيق الأعلى. فى الرفيق الأعلى..

النبى

«تثقل رأسه عليه الصلاة والسلام فى حجر
عائشة، وتميل يده فى الماء، وإذا بصره قد
شخص.. تدرك عائشة أن روحه عليه الصلاة
والسلام قد سعدت إلى بارئها، فتضع رأسه على
وسادة، وتغطيه ببردة، وتنهص تكتم الصراخ
وتنشال عبراتها سخينة حارة تنعى لنفسها
وللمسلمين انتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى..!»

* * *

«الخبر يتفشى فى لحظات، ويتسامع به
المسلمون فى المسجد النبوى ويسرى بسرعة
البرق فى أرجاء المدينة التى بدت وقد نزل بها
هول عظيم.. يصل النبأ إلى عمر بن الخطاب
فيجزع جزعاً شديداً من هول الصدمة.. يسارع إلى
المسجد وقد اجتمع الصحابة ومعظمهم لا يصدق،
فقد رأوه فى الصباح وبدا لهم أنه عليه الصلاة
والسلام يبلى من مرضه.. يبادرهم عمر وقد أنكر
الوفاة كل الإنكار، فيقف فيهم مرتاباً وقد ركبه

الغضب، وجمحت به الظنون، يشك في كل من
يقول أو يدعى أن رسول الله قد مات.. لا يتفطن
إلى حزن المغيرة بن شعبة حين قال له آسياً:
يا عمر؛ مات رسول الله!!».

عمر بن الخطاب : (منفجراً في المغيرة بن شعبة) كذبت. بل أنت رجل
تحوسك (تتخللك) فتنة.. إن رسول الله لا يموت حتى
يُفنى كل المنافقين!

«عمر بن الخطاب، يقف خطيباً فيمن
بالمسجد، وقد تملك منه الغضب الشديد..»

«يصل أبو بكر الصديق مهرولاً على عجل وقد
أبلغوه بداره بالسُّنْح - يتجه مباشرة إلى بيت
عائشة، فيدخل على الرحمة المهداة، فيلفاه
عليه الصلاة والسلام مغطى ببرد، يكشفها عن
وجهه، فيعرف فيه الموت..».

أبو بكر : (آسياً حزينا) مات رسول الله!

(وقد تملكه الأسى) إنا لله وإنا إليه راجعون.. مات رسول الله!

«أبو بكر ينحني فيقبل جبين رسول الله،
يقول وقد غلبه الحزن وانهمرت دموعه.. يطفق
وسط دموعه في تقبيل رأس الرحمة المهداة وهو
يقول: وا نبياه! وا صفياه! وا خليلاه! يكب
أبو بكر على الجثمان يقبله ويقول باكياً..».

أبو بكر : (وهو ينظر ملياً يريد أن يشبع من محياً الرسول) ما أطيبك حياً

وما أطيبك ميتاً. (ملتفتاً لأهل البيت) إنا لله وإنا إليه راجعون..

مات رسول الله! (يستأنف) بأبى أنت يا رسول الله. والله لا يجمع
الله عليك موتتين أبداً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متهأ!

* * *

«بالمسجد النبوى، يصل أبو بكر وعمر
بن الخطاب يرغى ويزبد حتى أزيد شدقاه،
بينما يقول العباس...».

: إن رسول الله ﷺ يأسن (يتغير) كما يأسن البشر، وإن
رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم، أيميت أحدكم إماتة
ويميته إماتتين؟ هو أكرم على الله من ذلك، فإن كان
كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب
فيخرجه إن شاء الله..

العباس

«عمر بن الخطاب يرفض كل منطلق، ويهاجم
كل من يزعم أن رسول الله مات.. يقول لن يموت
رسول الله حتى يُفنى كل المنافقين.. أبو بكر
الصديق يشير وقد وصل إلى عمر أن يسكت،
ولكن عمر لا يسكت.. يتركه أبو بكر وهو يقول
له على رسلك يا عمر، ويذهب على موضع آخر
فيبدأ فى مخاطبة الناس، فيتجهون إليه يسمعون
ما يريد أن يقوله لهم.. يبدأ الصديق فيحمد الله
ثم يثنى عليه.. ويتلو...».

: (بصوته الهادئ العميق) قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية 144].

أبو بكر

«الناس تنصت وكأن على رؤوسهم الطير..

ينصت عمر بن الخطاب رغباً عنه إلى الآيات ، فيفيء

وقد هاله أنه تصرف وكأنه لم يسمعها من قبل..

يلزم الصمت ويستمر في الإنصات إلى الصديق..».

أبو بكر : أما بعد؛ فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن

كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

«الناس تفيء إلى الواقع مع الكلمات التي

انسابت من الصديق ، وما تلاه من آيات الله عز

وجل.. بينما يقف عمر بن الخطاب كأن الأرض

قد مدت من تحته ، فيتهاوى إلى الأرض ، موقناً

وقد هاله الموقف الجليل ، أن رسول الله ﷺ قد

مات ، مسترجعاً كلمات الصديق أن من يعبد

الله ، فإن الله تعالى حي لا يموت!«.

(تم بحمد الله)